

ورقة تقديمية حول إقليم تازة

يقع إقليم تازة في شمال المملكة بين سلسلتي جبال الريف والأطلس المتوسط، تبلغ مساحته **7101 كلم²** وعدد سكانه حوالي **528.419 نسمة (2014)**، ينتمي هذا الإقليم الى جهة فاس- مكناس، تتميز تضاريسه إجمالاً بالطابع الجبلي حيث تتجاوز أعلى قمة جبلية ارتفاع **3000 م** في جماعة بويبلان، تعيش أغلب ساكنة إقليم تازة بالعالم القروي وذلك بنسبة تزيد عن **63 %**، وهذا ما يجعل النسيج الاقتصادي للإقليم يعتمد بالأساس على القطاع الفلاحي إلى جانب قطاعي الصناعة التقليدية والتجارة، هذين القطاعين اللذين يشغلان أعداداً معتبرة من اليد العاملة ويساهمان بشكل كبير في النشاط الاقتصادي للإقليم، أما باقي القطاعات الأخرى فتبقى مساهماتها نسبياً ضعيفة في الاقتصاد المحلي خاصة القطاع الصناعي والسياحي.

يتميز النسيج الديمغرافي لإقليم تازة بتنوع قل نظيره على المستوى الوطني، حيث تتواجد بهذا الإقليم عدة قبائل تختلف باختلاف لهجاتها و عاداتها و تقاليدها، فهناك قبائل التول، البرانص، غياثة و مكناسة المتحدثة بالعربية والتي يختلف المؤرخون حول أصولها بين الأمازيغي و العربي حيث تتمركز هذه القبائل وسط الإقليم من شرقه إلى غربه، أما في الجهة الجنوبية فنجد قبيلة بني وراين الأمازيغية المترامية الأطراف، في الشمال توجد قبيلة اكزناية المتشعبة بثقافة أمازيغ الريف و في الشمال الغربي توجد قبيلة صنهاجة ذات الأصول الأمازيغية لكنها تنطق بالعربية. و لعل الزائر لمدينة تازة سيلاحظ بدون شك هذه الفسيفساء التي تؤثت هذا التعايش الرائع بين مختلف القبائل و اللهجات، و ما يزيد من روعة المشهد تلك المعالم المتواجدة بالمدينة العتيقة أو تازة العليا(تازة لفوق كما يسميها أهلها)، و التي تشهد على واحدة من أعرق المدن المغربية حيث يعود تاريخ تأسيسها إلى الدولة الموحدية في حدود **542 هـ**، و من بين هذه المعالم التاريخية نذكر الأبواب السبعة للمدينة العتيقة و أهمها باب الريح، باب الجمعة، باب الشريعة، باب طيطي و باب زيتونة، كما توجد العديد من الفنادق و الأسواق داخل أسوار هذه المدينة أشهرها فندق الحدادين و سوق الطرافين. إلا أن أهم معلم تفتخر به مدينة تازة هو المسجد الأعظم (الجامع الكبير)، الذي يعد بحق أحد المعالم التاريخية والدينية التي مازالت شاهدة على تاريخ المدينة العتيقة، وتحظى كذلك باهتمام الباحثين والساكنة والزوار، غير أن ما يلفت الأنظار بهذه المعلمة التاريخية هو تزيينها بثرية تزن **3.2 طن** مصنوعة من النحاس الخالص ويحيط بها **514** سراجاً وهاجا ونقشت في أسفل دائرتها خلال العصر المريني قصيدة شعرية رائعة تمدح هذا المعلم، ويبدو أن شاعرها الأصلي فضل أن يبقى مجهولاً منذ ما يزيد على **700** سنة من التاريخ، تقول القصيدة:

ومتع الطرف في حسني الذي بهرا
على البلاد فما مثلي الزمان يرى
شاء الأمير أبو يعقوب إذ أمرا
ملك أقام بعون الله منتصرا
يرجو به في جنان الخلد ما ادخرا
ست المنين من الأعوام قد سطر
يعقوب بالنصر دأبا يصحب الظفرا

ياناظرا في جمالي حقق النظرا
أنا الثريا التي تازا بي افتخرت
أفرغت في قالب الحسن البديع كما
في مسجد جامع للناس أبدعه
له اعتناء بدين الله يظهره
في عام أربعة تسعون تتبعها
تاريخ هذي الثريا والدعا لأبـي

. هذا التنوع الديمغرافي و هذه العرافة التاريخية أعطى لإقليم تازة مورثا ثقافيا و حضاريا جد ثري و متنوع تلتقي فيه مختلف العادات و التقاليد و الأعراف التي تتميز بها هذه القبائل. هذا ما انعكس أيضا على قطاع الصناعة التقليدية حيث يزخر إقليم تازة بالعديد من الحرف التقليدية التي تميزه عن باقي أقاليم المملكة خاصة مع توفر المواد الأولية المستعملة في هذه الحرف بكميات كبيرة نذكر منها الدوم، الحلفاء، الصوف، الخشب، الحجر، هذه الحرف هي:

- المنتجات النباتية بجماعة بني فراسن،
- النقش على الحجر بوادي أمليل،
- زربية بني وراين،
- الفخار القروي بأكنول و بوشفاة،

كما تتواجد مختلف الصناعات التقليدية الخدماتية منها والفنية الإنتاجية بمختلف دوائر الإقليم، كالخياطة بأنواعها، النجار الخشبية، نجارة الألمنيوم، الحرف المرتبطة بأشغال البناء، الحرف المرتبطة بإصلاح السيارات، الحلاقة، الجبس، التلحيم، الحدادة الفنية، تمويل الحفلات... الخ.

ورغم المكانة التي يحتلها قطاع الصناعة التقليدية في النسيج الاقتصادي والاجتماعي لإقليم تازة إلا أن هذا القطاع يعاني من عدة نقائص ومعوقات تحد من تطوره ونموه، والتي نلخصها فيما يلي:

- غياب التغطية الصحية والاجتماعية.
- صعوبة في التسويق والتمويل.
- قلة الدراسات القطاعية والإحصائيات الدقيقة.
- غياب التنشيط السياحي بالإقليم رغم توفر المؤهلات.
- قلة مراكز التكوين وخاصة في الحرف الفنية والإنتاجية .
- نقص في التأطير والتكوين.
- محدودية الإبداع والابتكار.

فإذا كانت كل هذه العوامل قد أثرت بشكل مباشر على نمو وتنشيط قطاع الصناعة التقليدية بإقليم تازة، فإنه لا بد من الإشارة إلى بعض المبادرات والمشاريع التي تحققت في السنوات الأخيرة بفضل الإستراتيجية التي تبنتها الوزارة الوصية لإنعاش القطاع (رؤية 2015) وكذلك بفضل مجهودات

المتعاقبين على تسيير قطاع الصناعة التقليدية بإقليم تازة، سواء غرفة الصناعة التقليدية أو المديرية الجهوية للصناعة التقليدية بتازة بدعم من مختلف المتدخلين في هذا القطاع، ومن هذه المبادرات نذكر:

- بناء قرية للصناع التقليديين بتازة العليا.
- برنامج التكوين بالتدرج المهني الذي انطلق منذ 2004.
- تمويل العديد من المشاريع لفائدة التعاونيات والجمعيات الحرفية في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.
- تنظيم العديد من الدورات التكوينية لفائدة حرفيي المنتجات النباتية.
- إطلاق مشروع إعادة بناء قيسارية الطرافين بتازة العليا .
- التنظيم السنوي للمعارض الجهوية والإقليمية بتمويل من مؤسسة دار الصانع وبدعم من الوزارة الوصية.

كل هذه المشاريع والمبادرات إضافة إلى أخرى لا يتسع المجال لذكرها لم تكن كافية لإعطاء انطلاقة حقيقية وقفزة نوعية لقطاع الصناعة التقليدية بهذا الإقليم وجعله في مصاف القطاعات الاقتصادية القادرة على امتصاص البطالة والرفع من المستوى المعيشي للسكان، خاصة وأن إقليم تازة يزخر بالعديد من الحرف التقليدية التي تميزه عن باقي أقاليم المملكة، و التي تؤهله ليكون قاطرة للنمو جنبا إلى جنب مع باقي القطاعات وخاصة قطاع السياحة الذي يشهد تطورا ملحوظا في السنوات الأخيرة ببلادنا، بحيث يعد أكبر واجهة لتسويق منتجات الصناعة التقليدية التي يقبل عليها السياح الأجانب منهم والمحليون، وإقليم تازة له من المؤهلات السياحية والثقافية والحضارية ليكون من بين الوجهات السياحية الواعدة في المستقبل، وعليه فإن قطاع الصناعة التقليدية لابد أن يواكب بشكل فعال وعملي الديناميكية التي يشهدها القطاع السياحي والذي يراهن عليه المغرب لتحقيق مزيد من النمو والتقدم وذلك عن طريق إنجاز مختلف البرامج والمشاريع التي من شأنها أن تنهض بقطاع الصناعة التقليدية بإقليم تازة وتؤهله لربح رهان التنمية وخلق الثروة والرفع من المستوى المعيشي للسكان.